دراسة مقارنة بين قصيدة "البردة" للإمام البوصيري وبين قصيدة "وحي البردة" للشاعر المسيحي ميخائيل بن خليل الله ويردي

السيد / أبوبكر كي[١]

د / محمد عابد يو. بي[٢]

الملخص

القصائد في المدائح النبوية تتطور يوما فيوما حتى صارت غرضا مستقلا وفنا مستقرا، وقد شارك في هذا التطور شعراء كثيرون حتى لا يوجد شاعر من شعراء المسلمين إلا وكان أحد أغراض شعره مديح النبي صلى الله عليه وسلم، وصارت المدائح النبوية مصدر إلهام لدى الشعراء. ورغبة الشعراء المسلمين في مدح حبيبهم ليس أمرا عجيبا لأن شخصيته تجذب قلوبهم و يحثهم على مدحه والإشادة بفضله. ولكن العجيب جدا إن كثيرا من الشعراء النصارى مدحوا النبي صلى الله عليه وسلم مدحا يفوق شعراء المسلمين. وقصائدهم في هذا الموضوع تظهر أمام العالم شخصية الجذابة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولم يستطيعوا كتمان الحقيقة التي شاهدوا في النبي صلى الله عليه وسلم رغم إختلافهم في دينهم وعقيدتهم.

الإمام البوصيري وقصيدة البردة

البوصيري هو العارف بالله شرف الدين محمد بن سعيد ولد سنة ٦٠٨ للهجرة في قرية دلاص إحدى قرى من صعيد مصر، في أسرة ترجع جذورها إلى قبيلة صنهاجة. ثم انتقل إلى القاهرة حيث تلقى منها علوم العربية والأدب. ونشأ البوصيري نشأة دينية وتعلم العربية وأصول البلاغة مع إتقان حفظه للقرآن الكريم. ونظم البوصيري الشعر منذ حداثة سنه وله قصائد كثيرة و يمتاز شعره بالرصانة والجزالة، وجمال التعبير، وقوة العاطفة واشتهر بالمدائح النبوية التي أجاد استعمال البديع فيها. وأشهر ما قال البوصير في مدائحه النبي صلى الله عليه وسلم هي "البردة" وهي أيضا أشهر قصيدة المدح في الشعر العربي بين العامة والخاصة وقد أثرت "البردة" تأثير كثيرا في الناس فهذبت الطباع وأثارت القلوب وقد اعتنى بها سلفنا الصالحون. فحفظها العامة والخاصة والعلماء والزهاد بل رجال العلم والأدب والشعر لأنها أشرف ما قيل في مدح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.[٣]

---

[١] أستاذ مساعد. قسم اللغة العربية. كلية روضة العلوم العربية وباحث. قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق.

[٢] مشرف البحث. قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق.

[٣] ابن حجر الهيتمي، العمدة شرح البردة. دار الفقيه، ٢٠١٤م.

والقصيدة ترجمت إلى عدة لغات عالمية كما شُرحت هذه القصيدة وفسرت في العربية وغيرها كثيرا. وفيها ١٦٢ بيتا موزعة على عدة موضوعات فمطلعها في اثني عشر بيتا يليه ستة عشر بيتا في ذكر النفس. ثم ٣٠ بيتا في مدح الرسول ثم ١٩ بيتا في مولده صلى الله عليه وسلم وأبيات في جهاده وأخرى في معجزاته[٤].

يقول أحمد زكى باشا رحمه الله "طالما عارض الناس بردة البوصوري في القديم وفي الحديث بمئات ومئات من المنظومات لكن الصيت بقي لهذه البردة وحدها[٥]. وقد عارض الشاعر محمود سامي البارودي هذه القديصة على بحرها ورويها وكذا أمير الشعراء أحمد شوقي عارضها "بنهج البدرة" والشاعر المعاصر تميم البرغوثي. وله أيضا قصيدة باسم "البردة".

ميخائيل بن خليل الله ويردي - وقصيدة وحي البردة

والشاعر السوري ميخائيل بن خليل الله ويردي أول شاعر مسيحي يعارض قصيدة البردة وهو الذي فتح الأبواب أمام الشعراء المسيحيين ليحذوا حذوه وهو في هذه القصيد يعبر عن إنفعالاته وتأثراته بعمق العاطفة وصدق النية. ميخائيل بن خليل خير الله ويردى شاعر سوري وموسيقي مشهور وكان مولده سنة ١٩٠٤ في دمشق وتوفي فيها سنة ١٩٧٨. ومن أشهر مؤلفاته فلسفة الموسيقي الشرقية وبه حاز المؤلف على تقدير منظمة اليونسكو. وكما رشح هذا الكتاب لجائزة نوبل عام ١٩٥١ وبعد وفاته كرمه وزارة الثقافة والإرشاد القومي بتقليده وسام الاستحقاق السوري تقديرا لخدماته الجليلة في مجال الأدب والموسيقي وما كتب حول أثرهما في السلام. وكما ألف في الموسيقي كتاب "الموسيقي في بناء السلام".

قصيدة وحي البدرة

"تشتمل هذه القصيدة ١٢٥ بيتا في مطلعها يعرض عن مآثر العرب والإسلام وما اصطفى الله به رسوله الكريم من مكارم الأخلاق وما جاء به من مبادئ انسانية وما دعا إليه من تعاليم سمحة ثم يذكر محاسن الرسول ويعبر عن حبه له والذي يصل به إلى حد العشق ويفخر بمدوحه الذي ألهمه هذا الشعر"[٦]. وأسلوب الشاعر في هذه القصيدة يشبه بأسلوب البوصيري والبارودي وشوقي فغنى على قيثارتهم ونسج على منوالهم.

المقارنة بين القصيدتين

وفي بداية القصيدتين تشابه قوي يظن القارئ بأن قصيدة "وحي البردة" قد يتفق بكل محاسنه بقصيدة البردة للبوصيري حيث بدء ميخائيل ويردي قصيدته:

---

[٤] الدكتور عمر طيب الساسي. تاريخ الأدب العربي على مرّ العصور. كاليكوت، مكتبة الهدى، ٢٠٠٦م ص. ٥٦.

[٥] ابن حجر الهيتمي، العمدة شرح البردة. دار الفقيه، ٢٠١٤م.

[٦] ماجد الحكواتي، شعراء النصارى العرب والإسلام، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعر القاهرة.

أنوار هادى الورى في كعبة الهرم فاضت على ذكر جيران بذي سلم

ومن المألوف عندنا بداية البوصيري

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ويذم ميخائيل ويردي الدنيا ويعاتب النفس كما فعل الإمام البوصيري. ويقول الإمام البوصيري:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النّصح فاتهم

ويداني لهذا البيت قول ويردي:

يا ليت أحلام عمري لم تضع بددا بحب قصر من الأوهام منهدم

فاربأ بنفسك أن تنهار من ألم واربأ بحسنك أن يربد من سأم

ثم عرض الشاعر ما لاقاه صاحب الرسالة من معاداة قومه عند ما دعاهم إلى التوحيد

وحدت ربك لم وتشرك به أحدا ولست تسجد بالأعراء للصنم

عاديت أهلك في تحطيم بدعتهم من ينصر الله بالأصنام يصطدم

ويقول البوصيري

راعت قلوب العدا أنباء بعثته كنبأة أجفلت غفلا من الغنم

ما زال يلقاهم في كل معترك حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

ويعاتب ويردى ميخائيل أهل الكفر والعناد مثل فرعون وغيرها.

أبناء بابل أفنتهم مآثمها وآل فرعون ما شادوا سوى الهرم

زالوا وزالت مع الآثار عن تهم فإن تجادل سل التاريخ واحتكم

والمصطفى خالد في الناس ما بزغت أم النجوم وممدوح بكل فم

ولا نرى لهذه الأبيات مشابهة في قصيدة البردة وكما لا نرى في بعض أبيات البوصيري مشابهة من وحي البردة.

أبيات عن إنسانيته صلى الله عليه وسلم عند ميخائيل ويردي

ترعى اليتيم وترعى كل أرملة رعي الأب المشفق الباكي من اليتم

و يقول البوصيري

فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

ويقول ويردي عن خلق النبي

كأنما قلبه ينبوع مرحمة مستبشر فرح جذلا بالنسم

في دينك السمح لا جنس ولا وطن فكل فرد أخ يشدو على علم

و يساوي لهذه الأبيات كثيرا عن أبيات البوصيري مثل:

فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

ميخائيل خليل الله يطلب الشفاعة كما نجد هذا في بردة البوصيري. يقول ويرد

فاجعل هواك رسول الله تلق به يوم الحساب شفيعا فائق الكرم

ويقول البوصيري

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم

وعند اختتام القصيدة نرى الشاعر ميخائيل ويردى يختم بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

صلى الإله على ذكراك ممتدحا حتى تؤم صلاة البعث بالأمم

ويختتم البوصيري

وأذن لسحب صلاة منك دائمة على النبي بمنهل ومنسج

ما رنحت غذبات البان ريح صبا وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

الخاتمة

هذه دراسة مقارنة بين محبي النبي صلى الله عليه وسلم، الواحد معروف لدى العامة والخاصة هو الإمام البوصير الذي خلد ذكره في العالم بقصيدته المشهورة البردة المعروفة باسم الكواكب الدرية في مدح خير البرية، والثاني هو الشاعر المسيحي ميخائيل خليل الله ويردي شاعر مشهور في المدائح النبوية عند النصارى ولقصيدته وحي البردة كثير من التشابه لسائر البردات الموجودة لدينا ميخائيل ويردي شاعر وليس له علاقة مباشرة للدين الإسلامي ولكن ما عبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم تظهر أمامنا هو الشاعر الذي استطاع أن يصل إلى رتبة فحول الشعراء في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. وليس مراد المقالة إهانة أي واحد من الشعراء وإنما أردت أن يظهر أمام العالم عمل هذا الشاعر الذي أخلص إخلاصا تاما لمدح النبي صلى الله عليه وسلم.

المصادر والمراجع

١. ابن حجر الهيتمي، العمدة شرح البردة. دار الفقيه، ٢٠١٤م.

٢. الدكتور عمر طيب الساسي. تاريخ الأدب العربي على مرّ العصور. كاليكوت، مكتبة الهدى، ٢٠٠٦م

٣. ابن حجر الهيتمي، العمدة شرح البردة. دار الفقيه، ٢٠١٤م.

٤. ابن حجر الهيتمي، العمدة شرح البردة. دار الفقيه، ٢٠١٤م.

٥. محمد عبد الشافي القوصي، محمد صلى الله عليه وسلم في شعر النصارى العرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المملكة المغربية، ٢٠١١م.

٦. ماجد الحكواتي، شعراء النصارى العرب والإسلام، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعر القاهرة.

☆☆☆